أَفِي النَّاسِ أَمثالي؟

[الطويل]

ألـم تـسـألِ الـدارَ الـقَـديـمـةَ: هَـل لَـهـا
بـأُمّ حـسـيـنٍ، بـعـد عـهـدكَ، مـن عَـهـدِ[1]؟

سـلـي الـرَّكـبَ: هـل عُـجـنـا لـمَـغـنـاكِ مـرّةً
صُـدورَ الـمـطـايـا، وهـي مُـوقَـرةٌ تـخـدي[2]؟

وهـل فـاضـتِ الـعـيـنُ الـشَّـروقُ بـمـائِـهـا،
مـن أجـلـكِ، حـتـى اخـضـلَّ مـن دمـعـهـا بُـردي

وإنـي لأسـتَـجـري لـكِ الـطـيـرَ جـاهِـداً،
لـتـجـري بـيُـمْـنٍ مـن لـقـائـكِ أو سَـعْـدِ

وإنـي لأسـتـبـكـي، إذا الـرّكـبُ غَـرّدوا
بـذكـراكِ، أن يـحـيـا بـكِ الـركـبُ إذ يـحـدي

فـهـل تَـجْـزِيَـنّـي أُمُّ عـمـرٍو بـودّهَـا،
فـإنّ الـذي أُخـفـي بـهـا فـوقَ مـا أُبـدي[3]

---

(١) أم حُسَيْن: أخت «بثينة».

(٢) عُجْنا: مِلْنا ـ صدور المطايا: صدور الرّكاب من إبلٍ ونياق وخَيْل ـ مُوقرة: محمَّلة مثقله.

(٣) وردت الأبيات الستة في الأغاني ٨: ١١٢.

وكــلّ مُــحِــبٍّ لــم يــزدْ فــوق جُــهــدِهِ،
وقد زِدتها في الحبّ منّي على الجُهدِ[١]

إذا مــا دَنَــتْ زِدتُ اشــتــيــاقــاً، وإن نــأتْ
جَـزِعـتُ لـنـأي الـدار مِـنـهـا ولـلـبُـعـدِ

أبــى الــقــلــبُ إلّا حُــبَّ بَــثــنــةَ لــم يُــردْ
سـواهـا، وحـبُّ الـقـلـب بَـثـنـةَ لا يُـجـدي

تـعـلّـقَ روحـي روحَـهـا قـبـل خَـلـقِـنـا،
ومـن بـعـد مـا كُـنّـا نِـطـافـاً وفـي الـمـهـدِ[٢]

فــزاد كَــمَــا زدنــا، فــأصــبــحَ نــامــيــاً،
ولـيـسَ إذا مـتـنـا بِـمُـنـتـقَـضِ الـعـهـدِ[٣]

ولــكــنّــه بــاقٍ عــلــى كــلّ حــالــةٍ،
وزائِـرُهـا فـي ظُـلـمـةِ الـقـبـرِ والـلـحـدِ[٤]

ومــا وجــدتْ وجــدي بــهــا أُمُّ واحــدٍ،
ولا وَجَـد الـنّـهـديُّ وجـدي عـلـى هـنـدِ[٥]

---

(١) على الجهد: فوق ما يطيق قلبي من تحمّل لواعج الحبّ.

(٢) و (٣) و (٤) يقول «جميل» بأنّه و«بثينة» قد تعلّقت روحاهما قبل خَلْقهما، وأن هذا الحبّ قد نما وزاد، مع شبوبهما ولم ينتقض؛ وهو باقٍ رَغْم التنائي حيناً والتجافي حيناً آخر، حتى إنه ليزورهما ويصلهما في قبريهما ولَحْدَيْهما.

(٥) ويرى «جميل» أنه في حبِّه لـ«بثينة» أشد هياماً من «النّهدي» الشاعر الجاهلي الذي مات شهيد العشق.

ولا وَجَـد الـعُـذريُّ عُـروةُ، إذ قـضـى،
كـوجـدي، ولا من كـان قـبـلي ولا بـعـدي[١]

عـلـى أنّ مـنْ قـد مـاتَ صـادفَ راحـةً،
ومـا لِـفـؤادي مِـنْ رَواحٍ ولا رُشـدِ

يـكـاد فَـضِـيـضُ الـمـاءِ يَـخـدِشُ جِـلـدَهـا،
إذا اغـتـسـلـتْ بـالـمـاءِ، مـن رِقّـةِ الـجِـلـدِ[٢]

وإنّـي لـمُـشـتـاقٌ إلـى ريـح جـيـبـهَـا،
كـمـا اشـتـاقَ إدريـسٌ إلـى جَـنّـةِ الـخُـلـدِ[٣]

لـقـد لامَـنـي فـيـهـا أخٌ ذُو قـرابـةٍ،
حـبـيـبٌ إلـيـه، فـي مَـلامـتِـه، رُشـدي

وقـال: أفِـقْ، حـتـى مَـتـى أنـت هـائـمٌ
بـبَـثـنـةَ، فـيـهـا قـد تُـعِـيـدُ وقـد تُـبـدي؟

فـقـلـتُ لـه: فـيـهـا قـضـى الـلَّـهُ مَـا تَـرى
عـلـيّ، وهَـلْ فـيـمـا قـضـى الـلَّـه مـن ردِّ؟

فـإن كـان رُشـداً حُـبُّـهـا أوْ غَـوايـةً،
فـقَـد جـئـتُـه مَـا كـانَ مـنّـي عـلـى عَـمْـدِ

---

(١) حتى «عروة العُذري» الذي مات كمداً إذ لم يتزوَّج محبوبته «عَفْراء».

(٢) إن رِقة بَشْرَة «بثينة» ونعومتها يكاد رذاذ ماء الغُسْل يجرحها.

(٣) ويذكر اشتياقه إلى رائحة ما نَفَح من فتْحَة ثوبها عند صَدْرها...، كأنه عطر الجنة التي اشتاق إليها «إدريس» ـ عليه السلام ـ الذي رفعه اللَّه مكاناً عليًّا.

لـقَـد لَـجّ مـيـثَـاقٌ مِـنَ الـلَّـهِ بَـيـنَـنـا،
ولـيـس، لـمـن لـم يـوفِ لـلَّـهِ، مـن عَـهْـدِ

فـلا وأبـيـهـا الـخـيـرِ، مـا خُـنْـتُ عـهـدَهـا،
ولا لـيَ عِـلْـمٌ بـالـذي فـعـلـتْ بَـعـدي

ومَـا زادَهـا الـواشُـونَ إلّا كَـرامـةً
عـلـيّ، ومَـا زالـتْ مـودّتُـهـا عـنـدي

أفـي الـنّـاس أمـثـالـي أحـبَّ، فـحَـالُـهـم
كـحـاليَ، أم أَحـببـتُ مـن بـيـنـهـم وحـدي؟

وهَـلْ هـكـذا يَـلـقَـى الـمُـحـبّـونَ مـثـلَ مَـا
لـقـيـتُ بـهـا، أم لـم يَـجـدْ أحـدٌ وجـدي؟

يـغـورُ، إذا غـارت، فـؤادي، وإن تـكُـن
بـنـجـدٍ، يَـهِـمْ مـنّـي الـفـؤادُ إلـى نـجـدِ[1]

أتَـيـتُ بَـنـي سَـعْـدٍ صَـحـيـحـاً مُـسـلَّـمـاً،
وكـانَ سَـقـامَ الـقـلـبِ حُـبُّ بـنـي سـعـدِ[2]

(١) قلبي مُعلَّق بها، فإذا ما أتت «غوْر تهامة» غار إليها، ثم إن كانت بـ«نجد» طار فؤادي إلى «نَجْد».

(٢) لقد جئت حيَّ «بني سَعْد» ـ حي «بثينة» ـ سليماً مُعافى، وهناك ابتُليتُ، فكان مَرَض القلب (سقامه) حُبُّ «بني سعد» ـ يكنّي بهم عن (بثينة).

حَوْضُ العُشّاق

[البسيط]

وعـاذِلِـيـنَ ألَـحُّـوا فـي مـحـبّـتـهـا،
يـا لـيـتَـهـم وجَـدوا مـثـلَ الـذي أجِـدُ[١]!

لـمّـا أطـالـوا عـتـابـي فـيـكِ، قـلـتُ لـهـم:
لا تُكثرُوا، بعضَ هذا اللوم، واقتصِدوا[٢]

قَـد مَـاتَ قـبـلـي أخـو نـهـدٍ، وصَـاحِـبُـهُ
مُـرَقِّـشٌ، واشـتـفـى مـن عُـروةَ الـكـمَـدُ[٣]

وكـلُّـهـم كـانَ مِـنْ عـشـقٍ مـنـيّـتُـهُ،
وقـد وجَـدتُ بـهـا فـوقَ الـذي وجَـدوا

إنّـي لأحـسَـبُ، أو قـد كـدتُ أعـلـمُـهُ،
أنْ سـوفَ تُـورِدنـي الـحـوضَ الـذي وَرَدوا[٤]

---

(١) العاذلين: اللائمين، على حُبّي لها، فيا ليتهم عانوا ما أُعاني.
(٢) فلما اشتد عتابهم لي قلتُ لهم: كُفُّوا الملام..
(٣) فإن «النَّهدي» و«المرقش» و«عروة» قد ماتوا قبلي عُشاقاً.
(٤) إني لأعلم أن ما بي من حب «بثينة» سيوردني الهلاك كما أصاب مَنْ قَبْلي.

إن لـم تَـنـلـنـي بـمـعـروفٍ تـجـودُ بـه،
أو يـدفَـعَ الـلَّـهُ عـنّـي الـواحـدُ الـصَّـمَـدُ[١]

فَـمـا يـضـرُّ امـرأً، أمـسَـى وأنـتِ لَـهُ،
أنْ لا يـكـونَ مـن الـدنـيـا لَـهُ سـنَـدُ[٢]

(١ ـ ٢) حبُّك يا «بثينة» ودَفعُ اللَّه عنّي، لا يضرني ولا يُؤذيني طالما أنت لي وسَنَدي.

[النهدي]؛ سبق ذكره. و[مرقّش] (الأكبر) من بني بكر بن وائل، أحب ابنة عمه أسماء فعزلها أبوها عنه، فمات بحبّها و[عروة] سبق ذكره أيضاً.